

الحوار العقدي في القرآن الكريم Nodal Dialogue in the Holy Quran

ناجي علوي¹

طالب دكتوراه جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

nadjiallou79@gmail.com

تاريخ الوصول 2019/11/26 القبول 2020/12/07 النشر على الخط 2021/01/15

Received 26/11/2019 Accepted 07/12/2020. Published online 15/01/2021

ملخص:

تهدف هاته الدراسة إلى بيان موقف القرآن الكريم من قضية الاختلاف العقدي وكيف تعامل معها من جانب التنظير أو التطبيق، وتكمن أهميتها في محاولة فهم بعض المبادئ والمنطلقات التي اعتمد عليها في حوار مع الآخر، للتأسيس لمبدأ التعارف والتواصل الحضاري، وتحقيق السلام بعيدا عن الصدام والعداء الذي يكلف البشرية عناء هي في غنى عنه، ولا شك أن من أسباب هذا الصدام سوء الفهم الناتج عن غياب روح الحوار إما بسبب التشويه المقصود من بعض الأطراف أو جهل الأتباع من جهة، وكذا ما تخلفه تلك الصور النمطية المسبقة عن الآخر من جهة أخرى، و لعل مما يرسخ هاته النظرة لدى كل طرف هو ذلك التراكم المشحون الذي تخلفه بعض الاتجاهات الدينية التي تتسم بطابع التشدد والكراهية، مما قد يطبع في المخيال الاجتماعي نوعا من الصورة المشوشة والمشوهة عن الآخر دون محاولة فهم طبيعة الخلاف و معرفة أسبابه للتوصل إلى وعي متكامل بعيدا عن التعصب و الانغلاق على الذات، ولذلك فإننا سنحاول في هذا البحث الإجابة عن بعض التساؤلات والتي من أبرزها :
كيف ينظر القرآن الكريم إلى قضية الاختلاف العقدي ؟

ما هي أبرز مبادئه في الحوار مع الآخر ؟

الكلمات المفتاحية : الاختلاف، العقيدة، اليهودية، التعصب، حرية المعتقد.

Abstract :

This study aims to clarify the position of the Holy Quran on the issue of nodal difference and how to deal with it by theorizing or application, and its importance lies in trying to understand some of the principles and premises that he relied on in his dialogue with the other, to establish the principle of acquaintance and civilizational communication, and to achieve peace away from clash and hostility that One of the reasons for this clash is the misunderstanding resulting from the absence of a spirit of dialogue either due to the deliberate distortion of the parties or the ignorance of the followers on the one hand, as well as those stereotypes of the other, on the other. This entrenches this view of each party e And the charged accumulation left by some religious tendencies characterized by the nature of militancy and hatred, which may imprint in the social imagination of some kind of distorted and distorted image of the other without trying to understand the nature of the dispute and know the causes to reach an integrated awareness away from intolerance and self-closure, so we In this research, we will try to answer some of the most important questions, the most prominent of which are: How does the Qur'an view the issue of nodal difference? What are the main principles of dialogue with the other?

Keywords: Difference, Creed, Judaism, Intolerance, Freedom of Belief.

¹ - المؤلف المرسل: علوي ناجي البريد الإلكتروني: nadjiallou79@gmail.com

مقدمة:

اقتضت حكمة الله ومشيئته أن يبعث الأنبياء والرسل لتوجيه البشرية وإرشادها إلى أقوم الطرق وأصوبها، و تحقيق القيم والمثل الإنسانية الراقية، وقد جاءت بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم كخاتمة لهاته السلسلة المباركة، لتؤكد بأنه لا اختلاف في أصل الرسالات السماوية وأنها جميعا تنهل من مشكاة واحدة، وأن هذه الرسالة لم تقتصر على جنس العرب وحدهم، بل خاطبت الناس جميعا على اختلاف أجناسهم وأعراقهم ومشاربهم الفكرية، ومما لا شك فيه أن مثل هاته الشمولية تنطلق أساسا من مبدأ التواصل والحوار الذي يعد حلا حقيقيا لكثير من المشكلات الحضارية، وإننا في عالم اليوم نلاحظ تزايدا رهيبا في حالات العنف المرتبط في أحيان عديدة بالفكر الديني المتطرف خصوصا، مما يتناقض مع المبادئ والأسس التي جاءت الأديان لإرسائها، و يتقاطع مع مقاصد الشرع الكبرى كحفظ النفس وحفظ الدين، ويسوق لدى ضعاف العقول والنفوس بأن الدين يتسم بطابع الغلظة والجفاء والعنف والكراهية، وقد جاء بحثنا هذا للتركيز أساسا على موقف القرآن الكريم من مسألة الاختلاف العقدي، لنحاول بذلك استنباط أبرز منطلقاته في تعامله مع الآخر المختلف، بعيدا عن تلك النظرة المجتزأة التي يحاول أصحابها إقصاء كل مخالف، وعدم الاعتراف به مهما كان نوع هذا الاختلاف. وإننا في إطار هاته الدراسة سننطلق من بعض التساؤلات، والتي من أبرزها :

ما المقصود بالحوار العقدي ؟

ما أبرز العقائد والأديان المذكورة في القرآن الكريم ؟

ما هي أبرز الأسس والمنطلقات القرآنية في الحوار مع الآخر المختلف ؟

المبحث الأول : مفاهيم أولية :

. المطلب الأول : مفهوم الحوار العقدي :

1. الحوار :

أ . لغة : الحَوْرُ: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، و حار إلى الشيء، وعنه حَوْرًا وَمَحَارًا وَمَحَارَةً، وَحُورًا: رجع إليه وعنه. وَكَلَّمْتُهُ فما رجع إليَّ حَوَارًا، وَحَوَارًا، وَمُحَاوَرَةً وَحَوِيرًا، وَمُحَوَرَةً أَي: جوابًا، والمُحَاوَرَةُ: المُجَاوَبَةُ، والتَّحَاوُرُ: التَّجَاوُبُ. ⁽¹⁾

ب . اصطلاحا: المقصود بالحوار: مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح المواقف، أو إظهار الحُجج. ⁽²⁾

والحوار هو المُراجعةُ في الكلام، والتَّجَاوُبُ بما يقتضي ذلك من رَحَابَةِ الصَّدْرِ، وَسَمَاحَةِ النَّفْسِ، وَرِجَاحَةِ الْعَقْلِ، والتَّعَامُلُ المتحضّر الرّاقِي مع الأفكار والآراء جميعًا. ⁽³⁾

2. العقدي :

أ . لغة : عقد : العقد نقيض الحلّ، وعقد العهد واليمين يعقدهما عقدا وعقدهما أي أكدهما، والمعاقدة : المعاهدة والميثاق، والعقد : العهد، واعتقد الشيء : صلب واشتد. ⁽⁴⁾

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005 م. 1426 هـ، ج 3، ص 204. 205.

² - صالح بن عبد الله بن حميد، أصول الحوار وآدابه في الإسلام، ط 1، دار المنارة، جدة، السعودية 1415 هـ. 1994 م، ص 6.

³ - عبد العزيز عثمان التويجري، الحوار من أجل التعايش، ط 1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1419 هـ. 1998 م، ص 13.

⁴ ابن منظور، لسان العرب، د ط، دار المعارف، القاهرة، د س ن، ص 3031. 3032.

ب. اصطلاحاً : العقيدة بالمفهوم العام : " هي الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه الشك لدى معتقده "، أما العقيدة الإسلامية فهي : " الاعتقاد الجازم بأركان الإيمان وأصول الدين وثوابته، وكل ما ثبت عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم من الأمور القلبية والعلمية والقلوية " ¹.

ومما سبق يمكن القول بأن : الحوار العقدي هو سلوك حضاري راق ينطلق من مناقشة كل طرف للآخر بالحجج والبراهين للوصول إلى الحق و فهم الآخر من منطلقاته الفكرية والعقدية التي يؤمن بها، دون التعصب والاعتماد على الأفكار النمطية المسبقة.

المطلب الثاني : بعض المعتقدات والأديان المذكورة في القرآن الكريم : مما يدل على دقة القرآن الكريم وتحريه للحق أنه ذكر بعض العقائد المعاصرة له أو التي سبقتها، مبينا أدق ما تتميز به مناقشا لها بالحجة والبينة دون تحريج ولا مبالغة، بل نجده يذكر شبهات هاته العقيدة ثم يناقشها ليثبت مكان الباطل أو الصواب فيها، ولهذا فقد ارتأينا أنه مما يزيد بحثنا بيانا أن نشير إلى بعض ما ذكره القرآن الكريم من هذه العقائد فيما يلي :

1. الوثنية : جاء الحديث عنها في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، كقوله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْبَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ فَلَا تَنْبِئُكَ عَنْهُمُ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ⁽²⁾

و قد كانت الجزيرة العربية على دين إبراهيم الخليل عليه السلام، إلى أن قام عمرو بن لحيّ بجلب أصنام من خارج الجزيرة، فاتخذت بعد ذلك كل قبيلة صنما لها، وانتشرت الوثنية بعد ذلك بين القبائل العربية إلى حين مبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم ⁽³⁾

2. المجوسية : وهي ديانة وثنية، تقول بإلهين اثنين أحدهما للخير والآخر للشر وبينهما صراع دائم، وبعض الباحثين يقولون أنهم كانوا أهل كتاب ولهم رسول ولكنهم حرفوا وبدلوا مع مرور الزمن ⁽⁴⁾

وقد ذكر القرآن الكريم المجوس في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ ⁽⁵⁾.

3. الصابئة : وقد سبق ذكرها في آية الحج، وهي طائفة يقدس أصحابها الكواكب والنجوم ويعظمونها، وتعتبر هذه النحلة يحيى عليه السلام نبيا لها ويعد الاتجاه نحو نجم القطب الشمالي والتعميد في المياه الجارية من أهم طقوس هذه الديانة. ⁽⁶⁾

¹ علي بن نايف الشحود، الخلاصة في خصائص العقيدة الإسلامية، ط 1، دار المعمور، ماليزيا، 1430 هـ. 2009 م، ص 4.

² - يونس : 18.

³ - محمود بن الشترىف، الأديان في القرآن، ط 5، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، السعودية، 1404 هـ. 1984 م، ص 36. 42.

⁴ - مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ط 4، دار الندوة العالمية، الرياض، السعودية، 1420 هـ، ج 2، ص 1139. 1140.

⁵ - الحج : 17.

⁶ - مانع بن حماد الجهني، مرجع سابق، ج 2، ص 714.

4 . اليهودية : إذا رجعنا إلى لفظة يهود من الناحية اللغوية نجدها تحمل عدة معان، نذكر منها :
التوبة والرجوع : لفظة يهود، مشتقة من : هود، والهود: التوبة، وهاد يهود هودا، وتهود: تاب ورجع إلى الحق فهو هائد، وقوم هود.

وفي القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ كُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مَنَ أَشَاءَ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (1)
أي: تبنا إليك.

. اسم للقبيلة: وقيل اسم هذه القبيلة: " يهود "، فعرّب بقلب الذال دالا.
و قد قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (2)

التحريك: فالهيد: الحركة، وهاده، يهيدُهُ هيدًا، وهيدُهُ حركُهُ، وأصلحُهُ.
التطريب والإلهاء: فمن معاني التهويد: التطريب والإلهاء، وهو مُهَوِّدٌ أي: مثله، ومُطَرَّبٌ.
ومن معانيه : الترحيع بالصوت في لين.

وهوّد : إذا غنى، والتهويد: هذّهْدُهُ الرّيح في الرّمل، ولينُ صوتها فيه. (3)
أما إذا رجعنا إلى المعنى الاصطلاحي للكلمة، فإنّ بعض الباحثين يرى أن أصل كلمة : "يهود" تعود نسبتها إلى: " يهوذا وهو الابن الرابع للنبي يعقوب عليه السلام. (4)

وقد ذكر القرآن الكريم: اليهود في مواضع كثيرة، ولكن الملاحظ، أنه فرق بين " بني إسرائيل " ذرية إبراهيم الخليل من جهة، وبين "اليهود" من جهة أخرى وذلك باستعمال اسمين يحدد بهما طبيعة القوم في كل مرة، فيطلق اسم : " بني إسرائيل " في مواضع الرضى، واسم : " اليهود " في مواضع السخط عليهم. (5)

والمتتبع للأدوار التاريخية حسب التسلسل الزمني، يجد أن التسمية قد مرّت بمراحلٍ مختلفةٍ، مُرورًا بعصر إبراهيم الخليل، وبعده ابنه يعقوب عليهما السلام، إلى غاية عصر النبي موسى عليه السلام، وذلك بعد حوالي خمسمائة عامٍ من عصر إبراهيم الخليل، حيث اشتهر بنو إسرائيل حينها باسم: " قوم موسى " وقد كانوا يرزحون تحت نير استعباد فرعون، أمّا الدّور الثالث، فهو الدّور الذي يبدأ بسبي اليهود إلى بابل في القرن السادس قبل الميلاد (597 - 586 ق م)، وهؤلاء هم بقايا جماعة يهوذا، وقد سُمّوا بهذا الاسم نسبة إلى مملكة يهوذا المنقرضة، وقد كان لهم في هذا الدور النصيب الأكبر في تكوين الديانة اليهودية وتطورها. (6)

¹ - الأعراف : 156.

² - البقرة : 111.

³ - ابن منظور، مرجع سابق، ج 2، ص 816. 819.

⁴ - مختار فوزي التّعال، موسوعة الألفاظ القرآنية، ط 1، مكتبة دار التّراث، دمشق، سورية، 1423 هـ. 2003 م، ص 852.

⁵ - أحمد سوسة، مُفصّل العرب واليهود في التّاريخ، ط 5، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1981م، ص 489.

⁶ - المرجع نفسه، ص 342.

5. النصارى: وتُطلق النصارى على الدين الذي جاء به عيسى بن مريم عليهما السلام، ويعود سبب هذه التسمية إلى أمرين هما: - إما أن يكون إلى النصر، حيث سمّي حوارِيُّو عيسى وأصحابه المقربون، وفي القرآن: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾⁽¹⁾ وإما إلى قرية الناصرة بفلسطين والتي يقال بأن المسيح ولد بها⁽²⁾

هذا ويذهب كثير من الباحثين إلى أنّ المسيحية التي بشر بها المسيح عيسى عليه السلام، قد تحولت إلى ديانة وثنية تقوم على التثليث على مرحلتين:

الأولى: كانت على يد "بولس" (*).

الثانية: حيث انتشر مذهب "بولس" بقوة السيّف، وذلك في المجمع المسكوني الأول، وهو مجمع "نيقية" المنعقد عام 325 م⁽³⁾.

المبحث الثاني: من مبادئ ومنطلقات الحوار مع الآخر في القرآن الكريم:

المطلب الأول: قبل الحوار:

1. الاعتراف بمبدأ التكريم الإلهي للإنسان: فالإنسان حسب الفلسفة القرآنية مخلوقٌ مُكرّمٌ، وليس لأحدٍ أيّاً كان أن يجردّه من كرامته التي يستوي فيها المسلم، وغير المسلم من أهل الأديان الأخرى، أو من لا دين له، فالكرامة البشرية حقٌّ مُشاعٌ يتمتع به الجميع دون استثناء، وتلك ذروة التكريم والتشريف⁽⁴⁾.

وليس أدلّ على ذلك من قول الحق سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ

الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾⁽⁵⁾.

والمعنى من الآية: "جعلناهم قاطبةً برّهم و فاجرهم ذوي كرم، أي شرف ومحاسن جمّة، لا يخيّطُ بها نطاق الحصر"⁽⁶⁾. ويقول الشيخ محمد أبو زهرة في هذا السياق: "وإذا كانت الرسالة المحمّدية بهذا العموم، فإنها لإصلاح الجميع، ولقد عاملت الأجناس كلّها وعمّمت فيهم أحكامها، فليس هناك أحكام للبيض وأخرى للسود، ولا أحكام لشرق الأرض وأخرى لغربها.... ولقد

¹ - الصّفت: 14.

² . ناصر بن عبد الله القفاري وناصر بن عبد الكريم العقل، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ط 1، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، 1413 هـ. 1992 م، ج 1، ص 63.

^(*) - أصل "بولس" يهودي، وقد كان في صدر حياته من أشد أعداء المسيحية، ويُسمّى أيضاً "شاول"، توجّس منه تلاميذ المسيح، فتقرّب من "برنابا"، حتى شهد له بالإيمان، ومن ذلك الوقت، صار "بولس" القوة الفعّالة، والحركة الدّائبة في مسيرة المسيحية، وقد اصطحب "برنابا" في رحلاته، حتى اختلفا وافترقا، وتنسب إليه "رسائل بولس"، قيل أنه قُتل في اضطهادات "نيرون" سنة 66 أو 67 (*).

(*)- محمد أبو زهرة، محاضرات في النصارى، تقدّم عمار طالي، د ط، دار الشهاب، الجزائر، د س ن، ص 46 - 47.

³ - عبد الغني عبّود، المسيح والمسيحية والإسلام، د ط، د م ن، القاهرة، 1986 م. 1396 هـ، ص 85. 86.

⁴ - عبد العزيز بن عثمان التّوجري، الحوار من أجل التّعايش، ط 1، دار الشّروق، القاهرة مصر، 1419 هـ. 1998 م، ص 127.

⁵ - الإسراء: 70.

⁶ - شهاب الدّين محمود بن عبد الله الحُسَيني الأتوسي، رُوح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1415 هـ. 1994 م، مجلد 8، ج 15، ص 112.

بَيَّنَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ أَصْلَ التَّكْوِينِ الْإِنْسَانِيَّ وَاحِدٌ، وَأَنَّ الطَّبِيعَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ وَاحِدَةٌ فَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ الْمُعَامَلَةُ الْإِنْسَانِيَّةَ وَاحِدَةً، وَالتَّكْلِيفَ وَاحِدًا ⁽¹⁾.

فَإِذَا كَانَ الْمُسْلِمُ يُؤْمِنُ بِهَذَا الْمَبْدَأِ، فَإِنَّ إِيمَانَهُ هَذَا سَيَنْعَكِسُ بِالضَّرُورَةِ عَلَى مُعَامَلَتِهِ لِلآخَرِ، فَهُوَ يَرَى فِيهِ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ الْمُكَرَّمَ بِالْجَبِيلَةِ، وَبِالتَّالِي يُمَكِّنُ مُنَاقَشَتَهُ، وَمُخَاوَرَتَهُ وَعَرَضُ مَا لَدَيْهِ فِي جَوْ مِنْ الْإِحَاءِ الْإِنْسَانِيَّ الْعَامَ. وَالْإِسْلَامُ يَطْلُبُ مِنْ أَتْبَاعِهِ بِكُلِّ صَرَاحَةٍ وَوَضُوحٍ الْاعْتِرَافَ بِالْأَدْيَانِ السَّمَاوِيَّةِ الَّتِي سَبَقَتْهُ، وَيَدْعُو الْفَرِيقَيْنِ إِلَى ضَرُورَةِ التَّنَاقُسِ فِي الْخَيْرَاتِ، وَالتَّفَاعُلِ الثَّقَافِيِّ الْمُثْمَرِ، فَيَعْرِضُ كُلُّ مَا لَدَيْهِ، مَعَ الْاحْتِرَامِ وَالتَّعَامُلِ الْحَضَارِيِّ الرَّاقِي، وَيَتْرُكُ الْمَجَالَ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ. ⁽²⁾

2 - التعامل مع الاختلاف كسنة كونية لا بد منها : فقد اقتضت مشيئة الله أن يختلف الناس، ولا يمكن لأي أحد أن يلغي هذا الاختلاف، والقرآن الكريم أقر بهذا الاختلاف لأنه سر الاختبار الإلهي للبشر، وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمد عُمارة : " ووجود الآخر الديني المتميز والمختلف، ليس حقاً يمكن التنازل عنه، أو يمكن زواله بدخول الجميع في شريعة واحدة، وإنما هو قانون دائم وسنة إلهية لا تبدل لها ولا تحوّل... فالقبول بالآخر والتعايش معه ليس مجرد قبول بأمر واقع، وإنما هو القبول بشيئة الله " ⁽³⁾ وقد تحدّث القرآن الكريم في مواضع كثيرة عن هاته الحقيقة، حيث نقرأ مثلاً قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ قَلِيلًا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾. ⁽⁴⁾ ، والمقصود من الآية : أنه لو شاء لجمع الكل على الاستقامة والصواب حتى يكونوا على ملة واحدة. ⁽⁵⁾

وفي آية أخرى نجد قوله تعالى : ﴿ قُلْ قَلِيلًا أَلْبَلَعَةُ الْقُلُوبِ شَاءَ لَهْدِيكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ⁽⁶⁾ ، والمعنى : أنه لو شاء ربكم لوفّقكم جميعاً للاتفاق على الهداية، ولكنه لم يشأ ذلك، "بل شاء هداية البعض لأنهم صرفوا اختيارهم إلى سلوك طريق الحق، وشاء ضلالة آخرين لأنهم صرفوا اختيارهم إلى سلوك طريق الباطل " ⁽⁷⁾ والمشيئة المذكورة في الآية دالة على حرية الإنسان وعدم إجباره، وأن الله تعالى قد يسر أسباب الهداية لمن أخذ بها، ووفّقه إلى سلوك طريقها، كما أنه تعالى وكل من اتبع أسباب الشقاوة إلى نفسه، ولم يمنعه من اختياره لهذا السبيل في الدنيا وأنه سيحاسبه على عمله يوم الدين، فالاختلاف واقع لا محالة. ⁽⁸⁾

¹ - محمد أبو زهرة، المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، ط 2، الدار السعودية للنشر والتوزيع، السعودية، 1401 هـ. 1981 م، ص 49. 50.

² - محمود حمدي زقزوق، الإسلام وقضايا الحوار، ترجمة : مصطفى ماهر، د ط، القاهرة مصر، 1423 هـ. 2002 م، ص 38. 39.

³ - محمد عُمارة، هذا هو الإسلام: الموقف من الديانات الأخرى، ط 1، مكتبة الشروق الدولية، د م ن، 1426. 2005 م، ص 13.

⁴ - الأنعام : 35.

⁵ - محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، د ط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1405 هـ. 1984 م، مجلد 5، ج 7، ص 184. 185.

⁶ - الأنعام : 149.

⁷ - محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، ط 2، مطبعة السعادة، القاهرة، 1407 هـ. 1987 م، مجلد 5، ص 281.

⁸ - المرجع نفسه، ص 282.

3. مبدأ حرية المعتقد : وقد ضرب العهد النبوي أروع الأمثلة في احترام أصحاب الأديان وعدم التضييق عليهم، حتى بلغ حد التسامح مع الملل - الكتابية خصوصاً - حدًا لم يشهد له التاريخ مثيلاً حتى في هذا العصر، ولا أدل على ذلك من المعاهدات التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم، والتي كانت بمثابة الدستور الذي يكفل حقوق المواطنة بالمفهوم الحديث، وعدم التعرض للخصوصيات الدينية، مادامت محافظة على الوضع العام للبلد، غير متسببة في الفتنة أو الفوضى، والقانون في ذلك يسري على الجميع حتى على المسلمين أنفسهم⁽¹⁾

ومن أبرز الآيات التي أصلت لهذا المبدأ قوله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (2) وللاية سبب ثلوث، وهو أن قوماً من الأنصار، كان لهم أولاد قد هودوهم أو نصرهم، فلما جاء الإسلام أرادوا إكراههم على الدخول فيه، فنهاهم الله عن ذلك، وترك لهم حرية الدخول أو عدمه في الإسلام. (3) و يذهب الطبري - وذلك بعد أن ساق جملة من الآراء حول الآية - إلى أنها باقية على حكمها وليست منسوخة بالإذن بالقتال. (4)

ومما هو مقرر في الشريعة الإسلامية أن مبدأ عدم الإكراه في الدين ثابت في الشريعة الإسلامية، وأن ما حدث في بعض مفاصل التاريخ من افتئات على هذا المبدأ يعد حقيقة شذوذاً عن الأصل، الذي يقرر أن للناس حرية الاختيار في أمور العقيدة، فلا نسخ ولا قسر ولا تخصيص لأهل الكتاب عمن سواهم من أهل الملل. (5)

ولأن الدين والاعتقاد مسألة قلبية، فلا يسوغ أن يُكره عليها المرء رغبة أو رهبة، وإلا فلا طائل من ورائها ولا فائدة من خلالها، ولما سبغ هذا الاعتقاد من تبعات والتزامات، فلكننا أن نتخيل إنساناً أُجبر على فكرة ما ثم أتيح له أن يتملص منها، أو أُحتجج إليه في مواقف حاسمة، ترى كيف سيكون تعامله مع هذه المواقف، إن لم يكن مقتنعاً بدينه قلباً وقالباً ؟

4. تهيئة الظروف المناسبة للحوار : ومنهج القرآن الكريم في هذا الباب واضح، فليس لأحد أن يترفع أو ينأى بنفسه عن حوار الآخرين مهما عظم قدره، وقلت أقدار الآخرين، " فقد تحاور الله عز وجل مع الشيطان، كما تحاور مع الملائكة، كما أن دعوات الرسل عليهم السلام كانت محكومة بالحوار مع أقوامهم ". (6)

¹ - عبد الرحمن عزّام، الرسالة الخالدة، ط 2، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1384هـ. 1964 م، ص 87.

² - البقرة : 256.

³ - الطبري، مرجع سابق، مجلد 3، ج 3، ص 14.

⁴ - المرجع نفسه، ص 17.

⁵ - تيسير خميس العمر، حرية الاعتقاد في ظل الإسلام، ط 1، دار الفكر، دمشق، سورية، 1419 هـ. 1998 م، ص 222.

⁶ - محمد عبد اللطيف رجب عبد العاطي، منهجية الحوار في القرآن الكريم، مجلة الشريعة والقانون العدد : 35، رجب 1429 هـ. جويلية 2008 م، ص

وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَلِإِنَّمَا أَعْطٰكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَفُومُوا لِلّٰهِ مَثْنِي وَفِرَادِي ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (1)

والآية خطابٌ موجّهٌ إلى مشركي العرب، فقد طلبت منهم أن يتفكّر كلّ منهم على حدة أو مجتمعا مع غيره في حال محمّد صلى الله عليه وسلّم، فتقول: هل عرفتم عنه قبل إتيانه بهذا الدين جثوثا أو احتلالا في العقل؟ وإتكم إذا جرّدتكم التفكير وأبعدتم التعصّب واتبعتم الحقّ فستعلمون يقيناً بأنّه جاءكم نذيراً، وأتته صادق في دعوته كما عرفتم حاله قبل النبوة. (2)

المطلب الثاني: أثناء الحوار :

1. الانطلاق من المشترك : وقد ذكر القرآن الكريم هذا المبدأ في قوله تعالى: ﴿فَلِإِنَّمَا أَعْطٰكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَفُومُوا لِلّٰهِ مَثْنِي وَفِرَادِي ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (1)

وقد ركّزت هذه الآية على ضرورة طرح القضايا المشتركة، وينطلق هذا الأسلوب من حيث المبدأ على الفكرة العامة، دون الدخول في التفاصيل. (4)

وسنحاول في هذا المقام أن نفضّل الحديث عن الآية المذكورة من عدّة جوانب، من حيث: أطراف الحوار، موضوعه، ونتائجه.

أ. أطراف الحوار : إنه لما كان الحوار المقصود في الآية منصّباً على موضوع العقائد والأديان ، فقد ركّزت على أهل الكتاب وبيّنت موقف الإسلام منهم، وخاصةً في مثل هذه القضايا.

هذا المعنى يقول الرازي : " وهذا الاسم _ أهل الكتاب _ من أحسن الأسماء وأكمل الألقاب، حيث جعلهم أهلاً لكتاب الله... فإنّ هذا اللقب يدلّ على أنّ قائله أراد المبالغة في تعظيم المخاطب، وفي تطيب قلبه، وذلك إنّما يقال عند عدول الإنسان مع خصمه عن طريقة اللجاج والنزاع إلى طريقة طلب الإنصاف ". (5)

هذا ولم تخصّص الآية ناساً معيّنين، بل هي عامّة في أهل الكتاب، وذلك ما رجّحه الطبري حيث ذكر بأنّه لا دليل يقوّى على تخصيص أحدهما على الآخر، فكان الواجب أن يكون كلّ كتابي مقصوداً بالآية. (6)

¹ - سبأ : 46.

² - الطبري، مرجع سابق، مجلد 12، ج 22، ص 104 . 105.

³ - آل عمران : 64.

⁴ - محمّد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، د ط، دار المنصوري للنشر، قسنطينة، الجزائر، د س ن، ج 1، ص 127.

⁵ - أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، التفسير الكبير المعروف بمفاتيح الغيب، ط 1، د م ن، د ب ن، 1401 هـ . 1981 م، مجلد 2، ج 4، ص 94.

⁶ - الطبري، مرجع سابق، مجلد 3، ج 3، ص 302 . 303.

ب . مضمون الحوار ومحتواه : وحتى يكون الحوار بناءً وهادئاً، فقد ذكرت الآية عناصر محدّدة تضبط إدارته، وتساعد على المضيّ به قدماً إلى تحقيق الأهداف المرجوة منه، ومن أهم ما تطرقت إليه الآية نذكر:

الالتفاق على قدر مشترك : إذ لا بُدَّ من وضع أرضية يتطلّق منها الجميع، وتكون محلّ اتفاق بينهم، ففي قوله تعالى: " قل تعالوا " دعوة تحمل الكثير من المعاني فمجرد القول وتبادل الحديث، يُعدّ كسرًا لحاجز النزاع، وهو الخطوة الأولى في أيّ حوار، فما دام هناك قول من طرف، فنقول آخر بالمقابل سيُطرح ولو كان منقوضاً، وهذه الصيغة قد تكرّرت في القرآن الكريم كثيراً، فقد تأتي بصيغة الأمر: " قل "، أو الماضي " قال " أو المضارع " يقول "، كما أنّها وردت بمختلف التصريفات المفردة أو الجمع وغيرها، وهذا يحمل من الدلالة ما لا يخفى على عاقل.

العدل وعدم الحيف : وأثناء تبادل الآراء والتحاوّر، ذكرت الآية الكريمة بضروة الالتزام بالعدل، وإعطاء كلّ طرف حقه من التعبير عن رأيه وأفكاره دون إكراه أو تشيع أو تضيق.

كما أنّ معنى الآية فيه دعوة للمُتَحاورين أن يتفقوا على كلمة مُصنّفة لا ميل فيها لأحدٍ على آخر، و السوء المذكور في الآية هو العدل والإنصاف، ولأن حقيقة الإنصاف هو إعطاء النصف، ومن مُستلزمات ذلك، العدل والتسوية.⁽¹⁾

جـ . الجانب العقدي : فقد ركّزت الآية على مبدأ جاء به جميع الرسل، ودعا إليه أنبياء الله من لدن آدم إلى محمد عليهم صلوات الله جميعاً، ذلكم المبدأ هو مبدأ : " أن توحّد الله فلا تعبّد غيره، وتبّرأ من كلّ معبود سواه، فلا تشرك به شيئاً " .⁽²⁾ وهنا نجد أنّ الآية قد نبّهت إلى ذلك الانحراف الذي حدّث في مسار الأديان السابقة، وحملت رجال الدين المسؤولية الأكبر في هذا الانحراف حيث خلعت عنهم تلك الهالة، وذلكم التقديس والسلطة الكهنوتية، التي استغلّوا بها ضعف عقول الأتباع، فأحلّوا لهم الحرام، و حرّموا عليهم الحلال وشرّعوا لهم ما شرّعوا، باسم الرب.

د . نتائج الحوار : بيّنت الآية أنّه لا بُدَّ من البقاء على مُستوى عالٍ من التعامل إلى آخر محطّات الحوار، وثوَجُر هذا المعنى في الآتي :

الالتزام بمبادئ الحوار والثبات على المبدأ : وذلك عندما تقول الآية: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا بِشَهِدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾⁽³⁾

، ومعناها: حتى لو أصرّ هؤلاء المعاندون على الإباء ورفض الحق، مع وضوحه، فلا تنزعجوا لذلك، وابقوا على مبادئكم، وأظهروا أنّكم على هذا الدين، ما دُمتم مقتنعين بصحّته وقوّة حججه، ولا تحمّلوا خضومكم على رأيكم بالقوّة.⁽⁴⁾

ـ المداواة لا المدهنة : فلا بأس بالمداواة، و تقبّل السقّه أو الطيش من الآخر، مهما بلغ، أثناء المحاورّة، وترك المجال له ليُدلي بما عنده ولكن ليس معنى ذلك أن ثنّفقه، وتظاهر أمامه بقبولك لرأيه مطلقاً دون معارضة، وإلاّ فلا معنى للحوار إذا تخلّيت عن مبادئك التي تعتقد صحتّها وتسندك الشواهد والدلائل، بل لا بُدَّ مع هذا وذاك، أن تبيّن موقفك إذا كنت معارضاً للرأي الآخر.

¹ - الرازي، مرجع سابق، مجلد 2، ج 4، ص 94.

² - الطبري، مرجع سابق، مجلد 3، ج 3، ص 301.

³ - آل عمران : 64.

⁴ - الرازي، مرجع سابق، مجلد 2، ج 4، ص 95.

1. الإحسان في القول والفعل: فحتى لو لم توافق على الرأي الآخر ولم يقبل هو أيضاً وجهتك، فلا ينبغي أن يتحوّل الأمر إلى سجالٍ لفظيٍّ يُسيءُ فيه أحدُ الطرفين إلى الآخر، ومن بابٍ أولى فلا يجوزُ أن يتحوّلَ مَنحيّ قد يُضفي عليه طابعَ العُنفِ البدني.

2. عدمُ التعصّب لفكرةٍ مُسبقةٍ والتّسليم بالحقّ أينما ظهر: وينبغي ألاّ يتأثّر الحاورُ بثقافته وموْزونه الاجتماعيّ ذلك التّأثّر الذي يجعله حريصاً على إرضاء رغبات مجتمعه، غير مُراعٍ في ذلك استقلاليته الفكرية واتباعه للمنهج الصّحيح، فإنّ من أبرز المعضلات التي عالجها الإسلام في بداية الدّعوة، قضية تشبّث الناس بما وجدوا عليه آباءهم.⁽¹⁾

ولذلك فإنّ القرآن الكريم يُريدها دعوةً بالحكمة والموعظة الحسنة و يدعو النّاس جميعاً إلى تكوين وحدةٍ إنسانيةٍ لا ظالم فيها ولا مظلوم وأن يجتنب الجميع أسباب النزاع والشقاق، وإنّما يركّزون على الأمور المشتركة، مُبتعدين في ذلك عن السّباب والشّتائم والتّهم المُبادلة⁽²⁾

وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَآيَتِ اللَّهِ ثَمَنًا فَلِيًّا أَؤْتِيكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾⁽³⁾

وقد رجّح الطّبري الرّأي القائل بأنّ المقصود بأهل الكتاب في الآية أهل الكتاب جميعاً، فالآية لم تُخصّص النصارى دون اليهود، ولا اليهود دون النصارى.⁽⁴⁾

وذكر الآية للبعض دون الآخر، بيّناً بأنّ أهل الكتاب ليسوا جميعاً على نفس الشّاكلة، من تبنّى الميثاق وتحريف الكتاب، وغير ذلك من الهنات التي اشتهروا بها وثسّبت إليهم، بل منهم من له مناقبٌ جليّةٌ وسيّرٌ حميدةٌ.⁽⁵⁾

3. عرضُ أقوال الآخر من مصادره: فالذي يُريد حَوْضَ غِمَارِ الحوار، وهو لا يدري عن الآخر إلاّ الاسم، ولا يملك التّصوّر الكافي والإحاطة بالآزمنة بأساسياته، فهو في الحقيقة كمن يرى السّرّاب في الصحراء فيظنّه ماءً، فلا هو يتمكّن من إقناع الآخر ولا حتى من فهمه أصلاً.

و لذلك وجّدتا القرآن الكريم يذكر دائماً أقوال المخالفين، بل ويشير إلى أصولها الصّحيحة في بعض الأحيان، وإلى المفاسد التاريخية التي مرّت بها والمراحل التي تمّ فيها التحريف، ولتأخذ بعض الآيات كمثالٍ على ذلك: يقول الحق سبحانه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾⁽⁶⁾.

فالآية خبرٌ عن جرّاة اليهود على ربهم، ووَصْفِهِمْ لَهُ بما لا يليقُ فجاء الرّدّ القرآنيّ القاصمُ وذكرهم بنعم الله عليهم، وأثبت بطلانَ زعمهم، وأنّه فريضة لا دليل لهم عليها.⁽⁷⁾

¹ - محمد حسين فضل الله، مرجع سابق، ج 1، ص 47.

² - عبد العظيم إبراهيم المطعني، مبادئ التعايش السّلمي في الإسلام منهجاً وسيرةً، د ط، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، 1417 هـ. 1996 م، ص 105 - 108.

³ - آل عمران : 199.

⁴ - الطّبري، مرجع سابق، مجلد 3، ج 4، ص 218.

⁵ - الألوسي، مرجع سابق، مجلد 2، ج 4، ص 383.

⁶ - المائدة : 64.

⁷ - الطّبري، مرجع سابق، مجلد 4، ج 6، ص 299.

ويقول في آية أخرى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾⁽¹⁾.
يقول الطبري عن الآية: " وهذا القول _ ثالث ثلاثة _ كان عليه جماهير النصارى قبل افتراق فرقهم وقد كانوا يقولون: الإله القديم جوهراً واحداً يعم ثلاثة أقانيم: أباً والداً غير مولود وابناً مولوداً غير والد، وزَوْجاً مُتَّبِعَةً بينهما " (2)

فالقُرآن يذكر حتى هذه البدع التي حدثت في تاريخ النصرانية ويثبت أنها وافدة عليها من خارجها، وفي هذا الصدد يذكر الشيخ أبو زهرة أن التثليث لم يرد على النصرانية دُفْعَةً واحدة بل تطرّق إليها شيئاً فشيئاً، إلى أن أُعلِنَ عند غالبيتهم في نهاية القرن الرابع الميلادي⁽³⁾.

4. الاتفاق على المشترك العقدي: وذلك انطلاقاً من وحدة المصدر فأصل الأديان السماوية جميعاً من نفس المشكاة، ولذلك نجد في كثير من آيات القرآن، دعوة لأهل الكتاب _ خاصة الرُهبان ورجال الدين منهم _ أن لا يكتُموا ويخفّوا أجزاءً مما أنزل على أنبيائهم، ويحاكمهم في بعض الأحيان إلى ما هو موجود في كتبهم نفسها، وما كانت عليه في الأصل.
يقول دراز في هذا الشأن: " ومن أجل هذا، كان ارتباط القرآن بالكتب السماوية السابقة ارتباطاً جذرياً وموضوعاً جليلاً، الغرض منه إعادة نورها ونشره على العالم، بعد أن خفّت على مرّ العصور فالقرآن يُقدّم لنا الواجبات الأساسية، وعلم الحقيقة على أنها دعوة السابقين وسبيلهم المستقيم.... فليس بمحض الصدفة العارضة إذاً أن محمداً صلى الله عليه وسلم، يدعو إلى ما سبق أن دعا إليه الرسل السابقون.... وفيما عدا السبب الذي يعتريه القرآن واجباً محلياً محدوداً بطُروفٍ خاصة فقد جاء في القرآن تعزيز الوصايا العشر التي وردت في التوراة " (4).

وقد نبه القرآن الكريم إلى أن الأصل قبل التحريف واحد فإذا رجعنا مثلاً إلى سورة البقرة نجد قوله تعالى: ﴿فُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾⁽⁵⁾.

وعن هاته الفكرة يقول الدكتور محمد عمارة: " فالقرآن الكريم يُعلم أهله أن الإسلام الذي يؤمنون به، ليس بدعاً من الديانات والشرائع، وليس مُنَبَّتِ الصَّلَة بها، وإنما هو الحلقة الخاتمة في سلسلة الوحي الإلهي، والشرائع السماوية... وأن رسول الإسلام محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، هو خاتم الأنبياء والمرسلين... وشريعته هي الطُورُ المستجيبُ لخصائص التطور الإنساني ولتطلّبات ختم النبوات و الرّسالات، واكتمال الوحي الإلهي، ولتقتضيات عالمية الرّسالة وخلود حُجّة الله على النّاس أجمعين " (6)

¹ - المائدة : 73.

² - الطبري، مرجع سابق، مجلد 4، ج 6، ص 313.

³ - محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، مرجع سابق، ص 180.

⁴ - محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم، ترجمة محمد عبد العظيم علي، د ط، دار القلم، الكويت 1406 هـ - 1986 م، ص 91 - 93.

⁵ - البقرة : 136.

⁶ - محمد عمارة، هذا هو الإسلام: الموقف من الديانات الأخرى، مرجع سابق، ص 11.

5. التزام الأدب وحسن إدارة الحوار : ففي سورة النحل نقرأ قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁽¹⁾

فالْحَقُّ سُبْحَانَهُ يُوجِّهُ نَبِيَّهُ الْكَرِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنْ يَدْعُوَ إِلَى الْإِسْلَامِ "بِالْحُكْمَةِ" وَهِيَ وَحْيُ اللَّهِ وَكِتَابُهُ، "وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ" وَهِيَ الْعِبَرُ الْجَمِيلَةُ الَّتِي احْتَجَّ اللَّهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، "وَالْمُجَادَلَةُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" وَتَكُونُ بِمُقَابَلَةِ الْإِسَاءَةِ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ وَلِيْنِ الْجَانِبِ.⁽²⁾

وَالْمُلاحَظَةُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّهَا عَبَّرَتْ عَنِ الْجِدَالِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ مُبَالَغَةً فِي الْإِحْسَانِ فِي مُوَاجَهَةِ الْآخَرِ، وَلِيْنِ الْجَانِبِ، وَابْتِحَاحِ عَنْ أَحْسَنِ الطَّرِيقِ لِلْوُصُولِ إِلَى الْحَقِّ.

6. خطاب العقل والفطرة : ومن أبرز ما ورد في القرآن الكريم عن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾⁽³⁾

وذلك أَنَّ النَّصَارَى قَالُوا بِإِلَهِيَّةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَنَّهُ خَلِقَ مِنْ غَيْرِ أَبِي فَقَالُوا: إِنَّهُ ابْنُ اللَّهِ، فَجَاءَ الرَّذُّ الْقَرَاتِي مُحَاطِبًا لِعُقُولِهِمْ: إِذَا كَانَ الْأَمْرُ فِي شَأْنِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَذَلِكَ، فَكَيْفَ تَقُولُونَ فِي شَأْنِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ الْمَخْلُوقُ مِنْ غَيْرِ أَبِي وَلَا أُمٍّ، فَالْتَسَاؤُلُ يَكُونُ فِي شَأْنِهِ أَشَدَّ مِنْ شَأْنِ عِيسَى، وَلَكِنَّ آدَمَ - مَعَ مُعْجَزَةِ خَلْقِهِ - عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى، فَمِنْ بَابِ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، هُوَ الْآخَرُ دَاخِلًا تَحْتَ مِظَلَّةِ الْعِبَادِيَّةِ هَذِهِ.⁽⁴⁾

7. الاعتماد على الحجة والبرهان : وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾⁽⁵⁾

وذلك أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى زَعَمَ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ لَنْ يَتَّالَ الْفَوْزُ بِالْجَنَّةِ، إِلَّا مَنْ وَافَقَ مِلَّتَهُمْ وَهَجَّ مِنْهُمْ، فَبَيَّنَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ بِطُلَانِ هَذِهِ الدَّعَاوَى، وَبَيَّنَّ أَنَّهَا مُجَرَّدُ أَمَانِيٍّ لَا تَسْتَنِدُ إِلَى أَدْنَى دَلِيلٍ وَبَيَّنَّ أَنَّ الْجَنَّةَ لَيْسَتْ مَحْصُوصَةً بِأَحَدٍ أَوْ حِكْمًا عَلَى جَنْسٍ دُونَ آخَرَ، وَإِنَّمَا يَسْتَحِقُّ تِلْكَ الْمَنْزِلَةَ الرَّفِيعَةَ، مَنْ تَوَقَّعَتْ فِيهِ الشَّرُوطُ مِنْ إِخْلَاصِ الْإِعْتِقَادِ وَإِحْسَانِ الْعَمَلِ.⁽⁶⁾ وقد دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ الْمُدَّعِي سَوَاءٌ ادَّعَى تَقِيًّا أَمْ إِنْثَبَاتًا، فَلَا بُدَّ لَهُ مِنَ الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ، وَذَلِكَ مِنْ أَصْدَقِ الدَّلَائِلِ عَلَى بَطْلَانِ الْقَوْلِ بِالتَّقْلِيدِ، لِأَنَّ مَجَالَ الْعَقَائِدِ لَا يَقْبَلُ فِيهِ مُجَرَّدُ التَّقْلِيدِ دُونَ النَّظَرِ وَالتَّمَحِيقِ.⁽⁷⁾

¹ النحل : 125.

² الطَّبْرِي، مرجع سابق، مجلد 8، ج 14، ص 194.

³ - آل عمران : 60.

⁴ - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 م، ج 3، ص 263.

⁵ - البقرة : 111.

⁶ - الطَّبْرِي، مرجع سابق، مجلد 1، ج 1، ص 492.

⁷ - الرازي، مرجع سابق، مجلد 2، ج 4، ص 3.

وقد حرص القرآن الكريم على مخاطبة كل طرف حسب مستواه العقلي، فقد سلك مع هؤلاء العرب منهجاً استدلالياً بسيطاً، يلائم بساطة عقولهم، وهو يجمع مع هذه البساطة قوة الدليل ووضوح الحقيقة، فهاهو متلاً يستدل على وجود الخالق وتفرده بالوحيه بأن الإنسان مخلوق حادث، ولا حادث بلا محدث، ولذلك حصر فكرهم في ثلاثة احتمالات هي :

. الأولى : إما أن يوجدوا من غير خالق، وهذا مستحيل عقلاً فقال لهم في الآية: ﴿ أَمْ خُلِفُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ﴾⁽¹⁾.

. الثانية : أن يدعوا أنهم خلقوا أنفسهم، وهذا أيضاً مستحيل لأنهم لم يكوثوا موجودين قبل أن يخلقوا والمعدوم لا يخلق، فقال لهم : ﴿ أَمْ هُمُ الْخَالِفُونَ ﴾⁽²⁾.

. الثالثة : ويثقل بهم فيها إلى مستوى آخر، فيسألهم عن خلق السماوات والأرض، فيقول لهم : ﴿ أَمْ خَلَفُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوفُونَ ﴾⁽³⁾.

وهذا النوع من الحوار البرهاني، يقوم على استدراج الخصم لتصل معه إلى الحقيقة، عن طريق السؤال، حجة بعد حجة حتى لا يبقى له إلا التسليم بالحق، وهو في ذلك يتبع المقدمات المنطقية، التي تنتهي إلى نتائج يقينية لا مجال لإنكارها.⁽⁴⁾

المطلب الثالث : بعد الحوار :

. إمكانية التعايش : وهنا نجد أن الإسلام قد فتح الباب واسعاً لقضية التعايش فمُنذ الوهلة الأولى وضع مبادئه، فعامل اليهود والنصارى معاملة طيبة، ومد جسوراً من الود والتقارب، بينهم وبين المسلمين، فالإسلام يدعو الجميع إلى ضرورة تكوين وحدة إنسانية لا ظلم فيها ولا مظلوم، وأن يعمل الجميع على التناقص والتسابق في الخيرات ، بصرف النظر عن الاختلافات العقديّة، مرجئين الفصل فيها إلى الله تعالى يوم القيامة.⁽⁵⁾

وفي سبيل ذلك نجد القرآن الكريم قد وضع الأسس الضرورية لإنجاح هذا المبدأ فها هي ذي آية التعارف تدل دلالة في منتهى القوة على ذلك، حيث يقول الحق سبحانه في سورة الحجرات : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾⁽⁶⁾.

أي : خلقناكم من آدم وحواء عليهما السلام فالكل سواء في ذلك، فلا وجه للتفاخر بالنسب.⁽⁷⁾

¹ - الطور : 35.

² - الطور : 35.

³ - الطور : 36.

⁴ - عبد الرحمن النحلاوي، التربية بالحوار، ط 1، دار الفكر، دمشق، سورية، 2000م، ص 22 - 26.

⁵ - عبد العظيم إبراهيم المطعني، مرجع سابق، ص 105 - 108.

⁶ - الحجرات : 13.

⁷ - الألوسي، مرجع سابق، مجلد 13، ج 26، ص 312.

والتفاخر في النظرة القرآنية لا يتركز على أساس الجنس أو العرق، وإنما يكون الفضل فيه لأهل الصلاح والتقوى، وقد جعل الحق سبحانه الناس شعوباً وقبائل من أجل التعارف والتألف لا التناكر والتخالف.⁽¹⁾

وللعقائد كلام دقيق في هذا الباب حيث يقول: " فإذا كانوا قد تعددوا شعوباً وقبائل كما جاء في الآية الشريفة، فإنما كان هذا التعدد أقوى الأسباب لإحكام صلة التعارف بينها، وتعريف الإنسانية بأسرار خلقها ".⁽²⁾

ويقول السير توماس أرنولد: " وبمكثنا أن نحكم من الصلات الودية التي قامت بين المسيحيين والمسلمين من العرب، بأن القوة لم تكن عاملاً حاسماً في تحويل الناس إلى الإسلام، فمحمّد نفسه قد عقد حلفاً مع بعض القبائل المسيحية، وأخذ على عاتقه حمايتهم ومنحهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية، كما أتاح لرجال الكنيسة أن ينعموا بحقوقهم وثقوذهم القدام، في أمنٍ وطمأنينة ".⁽³⁾

خاتمة :

في خاتمة بحثنا يمكن القول بأن القرآن الكريم يعد كتاب حوار بامتياز، على المسلمين اليوم أن ينهلوا من معينه الصافي، للوقوف في وجه المحجمات الفكرية المغرضة التي تريد التشويه من جهة، ومن جهة أخرى لعرض الصورة الحقيقية بعيداً عن تلك الممارسات المليئة بالعنف، والتي تغذيها منابع الفكر المتطرف و تمدّها بوقود الحقد والكراهية ونبد الآخر ولو كان من نفس الديانة.

ولا شك أن الحوار الذي يُبنى على أساس من الاحترام المتبادل، ونشدان الحق، يصل بأصحابه لا محالة إلى نتائج طيبة وآثار حميدة، كما ينبغي على المحاور المسلم أن لا تحمله العداوة والمناقضة على البعد عن العدل ومواجهة نتائج الحوار بالظلم أو الاعتداء قولاً أو فعلاً، بل لا بد عليه أن يتقبل هاته النتائج بصدر رحب مهما كانت معه أو ضده.

ولا يسعنا في الختام إلا نخلص إلى بعض النقاط نوجزها كالآتي :

- دعا الإسلام من خلال القرآن الكريم إلى ضرورة التواصل الحضاري بين الأمم على اختلاف أديانها و معتقداتها.

- لا يجبر أحدا على التملص من أفكاره و اعتقاداته، بل يناقشه بالحجة والبرهان.

- يرفض القرآن الكريم كل أشكال العنف تنظيراً وتطبيقاً.

- ما يحدث من حملة شرسة من العالم الغربي تجاه الإسلام هي حملة تشويه مقصودة لخلخلة الصورة الحسنة وتشويشها وإقصائه من دوره الحضاري الرائد.

- ما يحدث في العالم الإسلامي من بعض التجاوزات لدى بعض الطوائف والحركات التكفيرية إنما هو في الحقيقة لا يعدو أمرين اثنين إما بسبب الفهم الخاطئ، أو بسبب التضيق على الفكر الصحيح المعتدل فتنشأ في ظل هذا الوضع المتأزم تيارات فكرية متشددة تبني خطاب العنف و إقصاء الآخر ولو كان من نفس الديانة.

- يبقى القرآن الكريم مصدراً للفكر الإنساني المعتدل، المبني على أسس الحوار الحضاري البناء لخدمة البشرية جمعاء والبعد عن أسباب الصراع والصدام.

¹ - محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ج 25، ص 258.

² - عباس محمود العقاد، الإنسان في القرآن الكريم، د ط، دار الهلال مصر، د س ن، ص 51 - 52.

، ص 51 - 52.

³ - سير توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون، ط 3 مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1981 م، ص 65.

قائمة المصادر والمراجع :

1. القرآن الكريم برواية ورش.
1. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرّازي، التفسير الكبير المعروف بمفاتيح الغيب، ط 1، د م ن، د ب ن، 1401 هـ - 1981 م.
2. أحمد سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ، ط 5، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1981 م.
3. توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون، ط 3 مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1981 م.
4. تيسير خميس العمر، حرية الاعتقاد في ظل الإسلام، ط 1، دار الفكر، دمشق، سورية، 1419 هـ - 1998 م.
5. شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، رُوح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1415 هـ - 1994 م.
6. صالح بن عبد الله بن حميد، أصول الحوار وآدابه في الإسلام، ط 1، دار المنارة، جدة، السعودية 1415 هـ - 1994 م.
7. عباس محمود العقّاد، الإنسان في القرآن الكريم، د ط، دار الهلال مصر، د س ن.
8. عبد الرحمن النحلاوي، التربية بالحوار، ط 1، دار الفكر، دمشق، سورية، 2000 م.
9. عبد الرحمن عزّام، الرسالة الخالدة، ط 2، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1384 هـ - 1964 م.
10. عبد العظيم إبراهيم المطعني، مبادئ التعايش السلمي في الإسلام منهجًا وسيرةً، د ط، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، 1417 هـ - 1996 م.
11. عبد العزيز عثمان التويجري، الحوار من أجل التعايش، ط 1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1419 هـ - 1998 م.
12. عبد الغني عبّود، المسيح والمسيحية والإسلام، د ط، د م ن، القاهرة، 1986 م - 1396 هـ. 13. علي بن نايف الشحود، الخلاصة في خصائص العقيدة الإسلامية، ط 1، دار المعمور، ماليزيا، 1430 هـ . 2009 م.
14. مانع بن حمّاد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ط 4، دار الندوة العالمية، الرياض، السعودية، 1420 هـ.
15. محمد أبو زهرة، المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، ط 2، الدار السعودية للنشر والتوزيع، السعودية، 1401 هـ . 1981 م 16
16. محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، تقديم عمار طالبي، د ط، دار الشهاب، الجزائر، د س ن.
17. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتثوير، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 م.
18. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، د ط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1405 هـ - 1984 م.
19. محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005 م - 1426 هـ 20.
20. محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، د ط، دار المعارف، القاهرة، د س ن.
21. محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، د ط، دار المنصوري للنشر، قسنطينة، الجزائر، د س ن.
22. محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، ط 2، مطبعة السعادة، القاهرة، 1407 هـ - 1987 م.
23. محمد عبد اللطيف رجب عبد العاطي، منهجية الحوار في القرآن الكريم، مجلة الشريعة والقانون العدد : 35، رجب 1429 هـ - جويلية 2008 م.

- 24 - محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم، ترجمة محمد عبد العظيم علي، د ط، دار القلم، الكويت 1406 هـ - 1986 م.
- 25 - محمد عمارة، هذا هو الإسلام - الموقف من الديانات الأخرى، ط 1، مكتبة الشروق الدولية، د م ن، 1426 - 2005 م.
- 26 - محمود بن الشريف، الأديان في القرآن، ط 5، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، السعودية، 1404 هـ - 1984 م.
- 27 - محمود حمدي زقزوق، الإسلام وقضايا الحوار، ترجمة : مصطفى ماهر، د ط، القاهرة مصر، 1423 هـ - 2002 م.
- 28 - مختار فوزي النعال، موسوعة الألفاظ القرآنية، ط 1، مكتبة دار التراث، دمشق، سورية، 1423 هـ - 2003 م.
- 29 - ناصر بن عبد الله القفاري وناصر بن عبد الكريم العقل، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ط 1، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، 1413 هـ - 1992 م.
- 30 - ول وايريل ديورانت، قصّة الحضارة، ترجمة محمد بدران، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ط، د س ن.